

تفسير البحر المحيط

@ 593 إلى الشيء أولاً ، ويكون افتعل منه ، إما لموافقة المجرى ، فيكون معناه ومعنى سبق واحداً ، أو لموافقة تفاعل ، فيكون استبق وتسبق بمعنى واحد . الخيرات : جمع خيرة ، ويحتمل أن يكون بناء على فعلة ، أو بناء على فيعلة ، فحذف منه ، كالميتة واللينه . وقد تقدّم القول في هذا الحذف ، قالوا : رجل خير ، وامرأة خيرة ، كما قالوا : رجل شر ، وامرأة شرّة ، ولا يكونان إذ ذاك أفعل التفضيل . الجوع : القحط ، وأما الحاجة إلى الأكل فإنما اسمها : الغرث . يقال : غرث يغرث غرثاً ، فهو غرث وغرثان ، قال : % (مغرّثة زرقاً كأن عيونها % . من الذمر والإيحاء نوّار عضرس .) % .

وقد استعمل المحدثون في الغرث : الجوع اتساعاً . . .

{ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَهُمْ عَن قِيَدِ أَعْيُنِنَا سَبْعَ عَشْرَ شَهْرًا }
كَانُوا عَلاِيَهُمَا { : سبب نزول هذه الآية ما رواه البخاري ، عن البراء بن عازب قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم) المدينة ، صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، أو سبعة عشر شهراً . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم) يحب أن يتوجه نحو الكعبة ، فأنزل الله تعالى : { قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ } الآية . فقال : السفهاء من الناس ، وهم اليهود ، ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ، فقال الله تعالى : { قُلْ لِلَّهِ الدِّينُ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ } الآية . ومناسبة هذه الآية لما قبلها : أن اليهود والنصارى قالوا : إن إبراهيم ، ومن ذكر معه ، كانوا يهوداً ونصارى . ذكروا ذلك طعناً في الإسلام ، لأن النسخ عند اليهود باطل ، فقالوا : الانتقال عن قبلتنا باطل وسفه ، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله : { قُلْ لِلَّهِ الدِّينُ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ } الآية ، فبين ما كان هداية ، وما كان سفهاً . وسيقول ، طاهر في الاستقبال ، وأنه إخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم) ، أنه يصدر منهم هذا القول في المستقبل ، وذلك قبل أن يؤمروا باستقبال الكعبة ، وتكون هذه الآية متقدمة في النزول على الآية المتضمنة الأمر باستقبال الكعبة ، فتكون من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه ، ليكون ذلك معجزاً ، إذ هو إخبار بالغيب . ولتتوطن النفس على ما يرد من الأعداء ، وتستعد له ، فيكون أقل تأثيراً منه إذا فاجأ ، ولم يتقدم به علم ، وليكون الجواب مستعداً لمنكر ذلك ، وهو قوله : { قُلْ لِلَّهِ الدِّينُ الْمَشْرُقُ وَالْمَغْرِبُ } . وإلى هذا القول ذهب الزمخشري وغيره . وذهب قوم

إلى أنها متقدمة في التلاوة ، متأخرة في النزول ، وأنه نزل قوله : { قَدَّ نَرَى
تَقَلَّابًا وَجْهَكَ } الآية ، ثم نزل : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ } . نص
على ذلك ابن عباس وغيره . ويدل على هذا ويصححه حديث البراء المتقدم ، الذي خرج
البخاري . وإذا كان كذلك ، فمعنى قوله : سيقول ، أنهم مستمررون على هذا القول ، وإن
كانوا قد قالوه ، فحكمة الاستقبال أنهم ، كما صدر عنهم هذا القول في الماضي ، فهم أيضاً
يقولونه في المستقبل . وليس عندنا من وضع المستقبل موضع الماضي . وإن معنى سيقول : قال
، كما زعم بعضهم ، لأن ذلك لا يتأتى مع السين لبعده المجاز فيه . ولو كان عارياً من السين
، لقرب ذلك وكان يكون حكاية حال ماضية . والسفهاء : اليهود ، قاله البراء بن عازب ،
ومجاهد ، وابن جبير . وأهل مكة قالوا : اشتاق محمد إلى مولده ، وعن قريب يرجع إلى
دينكم ، رواه أبو صالح ، عن ابن عباس ، واختاره الزجاج . أو المنافقون قالوا : ذلك
استهزاء بالمسلمين ، ذكره السدي ، عن ابن مسعود . وقد جرى تسمية المنافقين بالسفهاء في
قوله : { أَلَا إِنَّ زَهِمَ هُمُ السُّفَهَاءُ } ، أو الطوائف الثلاث الذين تقدم ذكرهم من
الناس . قال ابن عطية وغيره : وخص بقوله من الناس ، لأن السفه أصله الخفة ، يوصف به
الجماد . قالوا : ثوب سفية ، أي خفيف النسج والهليلة ، ورمح سفية : أي خفيف سريع
النفوذ . ويوصف به الحيوانات غير الناس ، فلو اقتصر ، لاحتمل الناس وغيرهم ، لأن القول
ينسب إلى الناس حقيقة ، وإلى